المشرق

المرج النضر والارج العطر

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

حصل جناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس على كتاب مخطوط موسوم بهذا الاسم فضمّهُ الى جملة مخطوطات مكتبته ثم طلب الينا ان نكتب فيهِ فصلًا لتعريفهِ فاجبنا الى طلبتهِ وها نحن نعرّف اوّلًا صاحب هذا التأليف ثمّ نصف كتابهُ ولا سيّما النسخة التي اطّلعنا عليها واخيرًا نقتطف منهُ بعض غررهِ تنويهًا بمحاسنهِ

١ صاحب الكتاب

كان اسم المؤلف مدوّنًا في صدر الكتاب الّا انّ آفات الزمان قد عملت فيهِ فما بقي منهُ الّا الفاظ دائرة لم نستطع قراءتها الّا بعد الجهد الجهيد وها هوذا الاسم كما تمكّنا من مطالعتهِ :

« كتاب المرج النظر (كذا) والارج العطر تأليف الشيخ الامام الفاضل العلّامة صلاح الدين محمّد بن السيّد الشريف العالم المرحوم ناصر الدين ابي بكر يحيى الشافعي السيوطيّ »

ولكن من هو هذا الشيخ السيوطيّ ؟ فمن المؤكّد انهُ ليس السيوطيّ الشهير صاحب التآليف المتعدّدة لانّ الكتاب اقدم منهُ عهدًا كما سترى فضلًا عن اختلاف اسمهِ فانهُ لا يُدعى كمؤلفنا « صلاح الدين محمّد » بل « جلال الدين عبد الرحمان ». وزد على ذلك انّ الامام جلال الدين صنّف تقويمًا لمؤلّفاتهِ اثبتهُ مع ترجمة حياتهِ في كتاب حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة (١ : ١٥٣—١٥٦) فلم نجد في هذا الجدول ذكرًا لكتابنا . وعلى ظننا انّ العلّامة بروكلمان (Brockelmann: *Gesch. d. ar. Litteratur*, II, 158, N° 297) خُدع كغيرهِ من المستشرقين باسم السيوطيّ فنسب اليهِ غلطًا كتاب « المرج النضر »

فان كان صلاح الدين محمّد السيوطيّ مختلفاً عن جلال الدين السيوطي افليس هو اباهُ او احدًا من اجدادهِ ؟ هذا بحث آخر لا يمكننا الجواب عنهُ الّا بمقابلة نسب المؤلفَين وتعريف زمانهما . فانّ جلال الدين السيوطيّ وُلد في غرّة رجب سنة ٨٤٩ هـ وتوفي في جمادى الاولى سنة ٩١١ (١٤٤٥—١٥٠٥) . وقد اعلمنا بنسبهِ مرارًا فهو « جلال الدين عبد الرحمان ابن كمال الدين ابي المناقب ابي بكر بن محمّد بن سابق الدين ابي بكر بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمّد بن سيف الدين خضر بن نجم ابي الصلاح ايوب ابن ناصر الدين محمّد بن الشيخ همام الدين الخضيري الاسيوطي » . امّا صلاح الدين محمّد صاحب المرج النّضر فلا نعرف من نسبتهِ غير الذي رويناهُ

أفهو ابو جلال الدين السيوطيّ ؟ لا نظن لأسباب . اوّلها انّ اسمهُ لا يوافق اسم ابي جلال الدين لأن اسم هذا كمال الدين ابو المناقب ابو بكر بن محمّد واسم صاحبنا صلاح الدين محمّد بن ابي بكر يحيى . ثانيها انّ والد جلال الدين السيوطيّ وُلد بعد الثمانمائة للهجرة وتوفي سنة ٨٥٥ هـ (١٣٩٧—١٤٥١) امّا صاحب تأليفنا فعاش قبل ذلك العهد تدلّ على ذلك نسخة من كتابهِ كُتبت سنة ٨١٨ كما سترى وفي تأليفهِ اشارة الى بعض شيوخهِ سنة ٨١١ . ثالثها انّ جلال الدين ذكر تأليف والدهِ في حسن المحاضرة (١ : ٢٠٣) ولم يأتِ بذكر كتاب المرج النّضر

افيكون جدّ جلال الدين السيوطيّ ؟ هذا محتمل ان اعتبرنا زمنهُ . فانّ جدّ جلال الدين كان في اواخر القرن الثامن للهجرة واوائل التاسع فألّف كتابنا . ثمّ ينطبق ايضًا الاسمان بعض الانطباق فانّ جدّ جلال الدين اسمهُ « محمّد بن سابق الدين ابي بكر » واسم مؤلفنا « صلاح الدين محمّد بن ابي بكر ناصر الدين يحيى » فمن المحتمل انّ جلال الدين السيوطيّ سكت عن لقب جدّهِ « صلاح الدين » كما ضرب عن اسم ابي جدهِ يحيى فلم يذكر غير كنيتهِ « ابي بكر » امّا اللقب فيختلف في النسبَين فهو في كتابنا ناصر الدين وفي جدول نسب السيوطيّ سابق الدين ولعلّهُ وهمٌ في هذا اللقب . فلا يبعد اذن ان يكون مؤلف المرج النضر جدّ السيوطيّ من هذين الوجهين الّا انهُ يصدّنا عن القول بهِ ما كتبهُ جلال الدين السيوطيّ عن اجدادهِ حيث روى في حسن المحاضرة (١ : ١٥٣) : « ومنهم (يريد اجدادهُ) من كان تاجرًا . . . ومنهم من كان

متسوّلًا ولا اعرف منهم من خدم العلم حقّ الخدمة الّا والدي » فهذا الكلام ينفي كون التأليف لجدّ جلال الدين السيوطي

وان سألت ماذا يُعرف من احوال صاحب كتابنا اجبتُك اننا لم نجد شيئًا يفي بالمقصود بعد مراجعة ما لدينا من التآليف . وغاية ما امكننا الحصول عليهِ تاخذهُ من نفس كتابهِ . فمن ذلك قولهُ في مقدّمتهِ انهُ ألف كتابًا اسمهُ « رياض الالباب ومحاسن الآداب » في الادبيّات . وهذا الكتاب هو اليوم مفقود لكنّ الحاج خليفا ذكرهُ في كشف الظنون (٣:٥١٦ من طبع اكسفرد) دون ذكر مؤلفهِ . ويستفاد ايضًا من كتابنا (ص٥٤٩ و ٥٦٦ و ٥٧٥) انهُ كان يلزم القاهرة ويدرس في المدرسة الفاضليّة في سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨) على الشيخ الجليل ابي زرعة احمد وليّ الدين ابن العراقي الشافعي الذي تولّى القضاء في القاهرة وتوفّي سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢١م) وهو يدعوهُ شيخهُ ويذكر انهُ اخذ من اماليهِ . فهذا جلُّ ما امكننا جمعهُ عن مؤلفنا ولعلّ ترجمتهُ المطوّلة في كتاب الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع او في المنهل الصافي لابي المحاسن بن تغري بردي وكلاهما لا يزال مخطوطًا

٢ تعريف الكتاب ونسخه

يعرف من هذا الكتاب ثلاث نسخ . الاولى في المكتبة الخديويّة (٤:٣٢٢) يقال عنها انها « تاليف العلّامة محمّد ابن ابي بكر السيوطيّ المصري من علماء القرن التاسع » ثم يذكر بعض اسطر من فاتحتها توافق نسختنا . ويقال هناك انّ « النسخة في مجلّد يظهر انها بخطّ المؤلف » دون زيادة في التعريف . والنسختان الثانية والثالثة في خزانة كتب باريس العربيّة (Fonds Arabe, nos 3385, 3386) احداهما مكتوبة بخطّ المؤلف كما يؤخذ من حاشية في صدر الكتاب وذلك سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥م) في مجلّد طولهُ ٢٤ سنتمترًا في عرض ١٦ س صفحاتها ٣٩٨ وفي كلّ صفحة ١٦ سطرًا ويقال في تعريف المؤلف انهُ من نسل الحسن بن علي بن ابي طالب . والاخرى مكتوبة سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) صفحاتها ٥٠٢ وفي كلّ صفحة ٥٣ الى ٥٥ سطرًا طولها ٢٧ س في عرض ١٧ س

امّا النسخة الرابعة التي في ملك الاديب يوسف افندي اليان فدونك وصفها : طولها ١٧ سنتمترًا في عرض ١٣ س . وهي مجلّدة مجلد احمر وورق اخضر صفحاتها

٥٧٧ وفي الصفحة ١٧ سطرًا . وهي مكتوبة بخطّ نسخيّ دقيق على ورق صفيق بحبر بن اسود واحمر . اولّها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله فارض المكتوبات فهي خمس . وجاعل الملاذّ في الحواس الخمس . والصلاة والسلام على افضل الرسل الخمس . خاتم الانبياء والمرسلين المخصوص من الله بخمس . القائل بُني الاسلام على خمس . المرويّ عنهُ انّ من الفطرة خمس . والمنقول من مفاتيحه مفاتيح البيت خمس . صلى الله عليهِ وعلى آلهِ وصحبهِ المبرّئين من اللمز والهمز والهمس . (امّا بعد) فانّ فنّ الادب عزّ وقد استحسنهُ السلف . وتغلّى من بعدهم الخلف . فمن اتّسم به تشرّف . ومن اتّصف بهِ ملك امرة الكلام وتصرّف . . . . . ولمّا وقف بعض الاصحاب على كتابي رياض الالباب ومحاسن الآداب فأعجب بهِ ورأى انّ اختصارهُ يقصّر بالراغبين عن طلبهِ فاجبتُ ان انسج على ذلك المنوال . وازيدهُ عنهُ امثال . ولم اقصد الاطالة . خشية الملالة . فخير الامور اوسطها وحبّ التناهي غلط . وجمعتُ هذا الكتاب وبنيتهُ على خمسة ابواب وفصل كل باب منهُ بخمسة فصول . ليجد الناظر فيهِ غرضهُ محصول »

ثم يعدّد الابواب الخمسة مع فصول كلّ باب ونحن نذكر فقط الابواب وهي : ١ً في الحبّة ٢ً في الغزل والنسيب ٣ً في الخمريّات والوصفيّات ٤ً في الادبيّات ٥ً فيما لا يلزم من غير ما تقدّم . ثمّ يذكر اسم الكتاب ويبيّن سبب اتّخاذهِ هذا العدد من الابواب والفصول ملتزمًا باسم الذي اهدى لهُ الكتاب دون التصريح (ص٣) :

« ورسم ابوابهِ وفصولهِ بهذا العدد المسطور لمناسبتهِ لعدد حروف اسم من كُتب برسمهِ وهو غير مذكور . الجامع للاوصاف الحسان . الممدوح بكل لسان . تراهُ مستغنيًا عن مدح مستدع غناء الظباء عن التكحيل بالكحل . وهو ان اخفيتُ اسمهُ من ان تفوه بهِ الالسن . فليس يخفى على من يعلم خائنة الأعين . وقد سمّاهُ الله تعالى في سورة الرحمن . على سبيل الامتنان . لا زال جنابهُ رفيعًا . وحماهُ منيعًا . . »

وهذه المقدّمة طويلة تنيف على ثماني صفحات . وقد جمع الكاتب في الابواب والفصول من اقوال الشعراء في كل معنًى شيئًا كثيرًا يدلّ على وفرة آدابهِ وسعة محفوظاتهِ من الشعر لا سيّما الشعر الاسلامي . والنثر فيهِ قليل في ثلثيهِ الاوّلين والشعر نادر في الثلث الاخير . امّا من حيث ضبط الكتاب والتدقيق في رواياتهِ فحسن بالاجمال لكنّهُ لا يخلو من الاغلاط امّا لسهو الناسخ واما لجهلهِ . وقد كُتب في ختامهِ (ص٥٧٧) اسم ناسخهِ وسنة النسخ هكذا :

على يد فقير رحمة ربهِ علي بن احمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوي الحنفيّ غفر الله لهُ ولوالديهِ ولجميع المسلمين في ثامن عشر من شعبان المكرّم سنة ستّ وثمانين وثمانمائة (١٤٨١م)

٣ نخبة من ملحه

نقسم هذه النخبة الى نظم ونثر فنروي من كليهما بعض شذرات تفكيهاً للقرّاء

قال عليّ بن البرقيّ الكاتب في الدمع عند الفراق :

رماني الدهر منْ بكل سهمٍ ففرَّق بين احبابي وبيني
ففي قلبي حرارة كلّ قلبٍ وفي عيني مدامع كلّ عينِ

وقال نجم الدين بن اسرائيل :

بكيتُ من وجدي عليهِ دماً فناظري بالدمع مقروحُ
وقلتُ طرْفي بالهوى شاهدٌ فقال ذا الشاهدُ مجروحُ

وقال صفيّ الدين الحلي في وصف عود :

عودٌ حوت في الارض اعوادُهُ كلّ المعاني وهو رطبٌ رخيمْ
بحار شدْو الوُرْق في شجوهِ ورقّة الماء ولطف النسيم

ولابي العلاء المعرّي في وصف الشمعة :

وصفراء لون التبر مثل جُلِيدةٍ على غِيَر الايّام والعيشة انضَنْكِ
تريك ابتساماً دائماً وتجلُّداً وصبراً على ما نالها وهي في المُلْكِ
فلو نطقت يوماً لقالت اظنُّكم تخالون [اني] من حذار الردى ابكي
ولا تحسبوا دمعي لوجدٍ وجدتُهُ فقد تدمع العينان من شدّة الضحكِ

وقال آخر في قصب السكّر :

رماحُ شهدٍ شهدنا أنّها انفردت بطيب طعمٍ فلا شيءٌ يدانيها
تخضرُّ حيناً فتحكي في تلوّنها لون الزمرُّد تفصيلاً وتشبيها
منصّلات فصولاً بينها عُقَدٌ حلَّت ودقّت وفاقت من يمانيها
ليست تطيب ولا تحلو مذاقتُها حتّى تشيب وما شابت نواحيها

وقال آخر في تقريد الحمائم وقيل انهُ للشبلي :

ربَّ ورقاء هتوفٍ بالضُّحَى ذات شجوٍ صدحت في فَنَنِ
ذكرتْ الفاً ودهراً صالحاً فبكتْ حزناً فهاجت حزَني
فبكائي ربَّما أرّقها وبكاها ربَّما أرّقني
ولقد اشكو فما افهمها ولقد تشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها وهي ايضاً بالجوى تعرفني

وقال القاضي الفاضل يعتذر لمن عاتبهُ في قطع المكاتبة :

لا تحسبنّي للعهود مضيّعاً حفظي لودّك مذهبٌ لا يذهبُ
عفتُ الترسُّلَ طامعاً ان نلتقي فابى الزمانُ يبيحُ لي ما اطلبُ

وتأخرت كتبي فقلتُ أعاتبٌ في ذاك انت عليَّ ام متعتبُ
واذا وجدتُك في الضمير مثقّلا ابدًا تناجيني الى مَنْ اكتبُ

ومثلهُ قال آخر :

وما أؤخر كُتبي عنك من مَلَلٍ الّا أُخفّف عن نماك اثقالي
اَلكُتْب تصلحُ للنائي البعيد فأ بالي أُكاتب مَنْ ألقاهُ في بالي

وقال آخر في تواضع الكبار :

انَّ التواضع في الشريف بهاء والكبر فيهِ المقتُ والبغضاء
لا نقص في متواضعٍ ذي سؤددٍ بل تستقيم لهُ بهِ العلياء
فالزمهُ عند ذوي العقول فانهُ زينٌ ومجدٌ طارفٌ وسناء
والعجبُ فيهِ آفةٌ ونقيصةٌ تُردي الفتى وكذلك المُيلاء
ودّي التواضع عند ذي جهل يُرى انَّ التواضع ذلّة وقاء

وللسراج الورّاق في الصفح عن الزلّات :

سألزم نفسي الصفح عن كلّ مذنبٍ وان كثرت منهُ اليَّ الجرائم
فما انا الّا واحد من ثلاثةٍ شريفٌ ومشروف ومثلٌ مقاومُ
فاما الذي فوقي فاعرف قدرهُ وأتبعُ منهُ الحقّ والحقّ قائمُ
واما الذي مثلي فان زلَّ او عثا تفضلتُ انَّ الفضل للحرّ لازمُ
واما الذي دوني فلستُ اجيبهُ اصون لهُ عرضي وان لام لائمُ

وقيل في الصبر :

ادفع بصبرك حادثَ الايّامِ وترجّ لطف الواحد العلّامِ
لا تيأسنَّ وان تضايق روعها ورماك ريبُ صروفها بسهامِ
فلهُ تعالى بين ذلك فرجةٌ تخفى على الابصار والاوهامِ
كم من نجا من بين اطراف القنا وقريبةٍ سلمت من الضرغامِ

وقال شيخنا وليّ الدين العراقي وقد املانيهِ مستهلّ صفر احدى عشرة وثمانمائة لنفسهِ :

بادر لرشدك فالاوقات تُغتنمُ واعقل قديتُك هذا الدهر منصرمُ
واعمل لأخراك لا تنظر الى احدٍ واهمل لنفسك فالاعمار تغترمُ
لا تركنَنَّ الى الدنيا وزينتها وكن لأدنيك عن تطريبها صَمَمُ
فبينا المرء في الاحياء مغتبطًا اذ صار من جسمهِ لو قد ترى رممُ

*

ومما استحسناهُ بالنثر الروايات الفكاهية الآتية :

انَّ الحمّل الشاعر كان صاحب نادرة فرآهُ صديق له يأكل سمناً فقال لهُ : يا ابن عبدالله لا تأكل السمن فانهُ سمّ زيدت فيهِ نون . فقال لهُ : وينبغي لك ان تأكل الحيَّة لأنها حياة سقط منها الالف

ويُحكى انَّ رجلًا صادف جاريةً ومعها طبق مغطًّى فقال لها : يا جارية ما في هذا الطبق . فقالت : والله يا سيّدي ما غطّيناهُ الّا حتى لا يعرف فضولي مثلك ما فيهِ

من نوادر الاعراب ما أُخبر عن رجل منهم انهُ وقف على قوم فسأل عن اسمائهم فقال احدهم : اسمي مُحرز . وقال آخر : اسمي وثيق . وقال آخر : اسمي منيع . وقال آخر : اسمي ثابت . فقال الاعرابيّ : ويحكم والله ما اظنّ الأقفال عُملت الّا من اسمائكم

دخل لصّ الى دار وصاحبها منتبه فلم يجد في البيت شيئًا فلمّا خرج قال لهُ صاحب الدار : ردّ الباب من البرد . فقال لهُ اللصّ : اي والله من كثرة ما اخذتُ لك تستخدمني

وقيل انَّ صاحب الشرطة أتى بلصّ وقالوا : هذا وجدناهُ سرق جملًا . فقال لهُ : فعلتَ ذلك . فقال : كنت سكران وقد حملني عليهِ . فقال لهُ : لِمَ لا سرقتَ كلبًا . قال : خشيتُ ان يعضّني . فضحك منهُ وتركهُ

قال بعضهم : رأيتُ بالكوفة صبيًا ومعهُ قرصة وهو يكسر لقمةً ويدخلها الى شقّ في حائط يخرجُ منهُ دُخان ويأكلها . (قال) فبقيتُ اتعجّب منهُ اذ وقف عليهِ ابوهُ يسألهُ عن خبرهِ . فقال الصبيّ : هؤلاء . (واشار الى اصحاب الحائط) قد طبخوا سكباجة حامضة كثيرة التوابل فانا اتأدّم برائحتها . (قال) فصفعهُ ابوهُ صفعةً كاد يقلع بها رأسهُ وقال لهُ : ويحك . أتريد ان تعوّد نفسك من اليوم أن لا تأكل الخبز الّا بأدم

قيل لرجل اشتكى عينيه : بماذا تداويها . قال : بدعاء الوالدة أبقاها الله الكثيرة الصوم والعبادة . فقيل لهُ : منذ كم تشتكي عينيك . قال : منذ سنة . فقال لهُ صديق : احبّ ان تخلط مع دعاء الوالدة قليلًا من المنزوت فانهُ اسرع للاجابة

حُكي انَّ بعض الصوفيين حمل يوماً على رأسهِ حنطةً وأتى بها طحّانًا ليطحنها لعيالهِ . فقال لهُ الطحّان : انا مشغول . فقال : اطحنها والّا دعوتُ عليك وعلى حمارك ورحاك

فيبطل . قال : أوانت تجاب الدعوة . قال: نعم . قال : فادعُ الله ان يصيّر حنطتك دقيقًا فهو انفع لك وأسلم لدينك

اجتاز بهلول بسوق البزّازين فرأى الناس اجتمعوا على باب ينظرون الى نُقب قد نُقب على بعضهم فاطّلع على النقب ثمّ قال: ويحكم ألا تعلمون ذا عمل مَن . قالوا: لا . قال : فاني اعلم مَنْ هو . فقال الناس : هذا بهلول يرى اللصوص بالليل ولا يتحاشونهُ فأنعموا لهُ القول لعلّهُ يخبر بذلك . فسألوهُ ان يخبر . فقال : اني جائع فهاتوا اربعة ارطال رقاق ورأسين . فاحضروا لهُ ذلك واكل . فلمّا استوفاهُ قال: اشتهي خُلوفًا فاحضروا لهُ رطلين فالوذج فاكلهُ وفرغ منهُ وقام وتأمل النقب ثمّ قال : اوَصحيح انكم لا تعلمون . قالوا : لا . قال : هو من عمل اللصوص . وعدا

ومن نوادر الشعب انّ جاريةً اودعت عندهُ دينارًا فقال لها : دعيهِ تحت الفراش . فلمّا مضت وضع معهُ درهم (درهمًا) . ثمّ جاءتهُ بعد ذلك وطلبت منهُ الدينار فقال لها : خذيهِ بيدك من موضع وضعتيهِ (وضعتِهِ) . فمدّت يدها لتأخذهُ فوجدت معهُ درهم (درهمًا) . فقالت : ما هذا . قال: يا جارية لا استحلُّ لك شيئًا هو دينارك ولد عندنا درهمًا فخذيهِ وولدهُ وان تركتيهِ (تركتِهِ) فهو قد استأنس بالمكان ويلد كلّ يوم درهم (درهمًا) . فتركتهُ وذهبت فاخذهُ . فجاءت لهُ بعد ذلك تطلبهُ فتلقاها بالبكاء . فقالت لهُ: ما القضيّة . قال : مات دينارك في النفاس . قالت : ويحك الدينار يموت ؟ قال : ويحكِ تصدّقين بالولادة ولا تصدّقين بالموت ؟

ويُحكى انّ بعضهم وقع من دابّة فانصدعت رجلهُ فجعل الناس يدخلون عليهِ للسلام ويسألونهُ كيف وقعتَ . فلمّا اكثروا عليهِ وضجر كتب قصّتهُ في رقعة وطرحها بين يديهِ فكان اذا دخل عليهِ عابر وسألهُ عن سبب وقوعهِ دفع اليهِ القصة المكتوبة . فدخل عليهِ فيمن دخل بعد ذلك رجلٌ فسألهُ عن حالهِ فاعطاهُ القصّة فشرع يسألهُ فقال : انّما كتبناها لاجل ترك الكلام . فجعل تلومهُ (يلومهُ) على عدم تحرُّزهِ عن الوقوع . فقال : حتى نستريح ها نحن نجيب عن هذه الاسئلة على الحاشية ودعنا من إلحاحك

عمل بعض النحويين كتابًا في التصغير واهداهُ الى رئيس كان يختلف اليهِ فنغّص عليهِ . فصنّف كتابًا في العطف واهداهُ اليهِ وكتب معهُ . رأيت باب التصغير واهديتهُ الى الرئيس فصغّرني وارجو ان يعطفهُ عليّ بابُ العطف

حدَّث يحيى بن علي السريريّ قال : كان للقالي اللغويّ نسخة من الجمهرة بخطّ حسن فدعتهُ الحاجة الى بيعها فاشتراها الشريف المرتضي بستين ديناراً وتصفّحها فوجد في اثنائها مكتوباً بخطّ القالي

انستُ بها عشرين حولاً وبعتُها ... فقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان عندي أنني سأبيعها ... ولو خلّدتني في السجون ديوني
ولكن اضطرار وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهلّ عيوني
فقلتُ ولم املك سوى قبض عبرة ... مقالة مكويّ الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجاتُ يا امّ مالكٍ ... كرائم من ربّ بهنّ ضنين (كذا)

(قال) فامر الشريف المرتضي وكيلهُ بحمل النسخة الى القالي وابقاء الثمن لهُ

وحكى ابراهيم بن المهدي قال : قدم المأمون مدينة السلام من خراسان فأمّن الناسَ غيري فتواريتُ واختليتُ اختلاءً شديداً فقالت لي عجوز من الازد وكانت تخدمني : سأحتال لك في ان يصل اليك مال . فركبتُ زورقاً فلمّا جاءت المأمون في قصره صاحت : صاحبة نصيحة . فامر بها فأُدخلت عليهِ فقالت لهُ : ان دللتك يا امير المؤمنين على ابراهيم المهدي فما تجعل لي . قال : مائة الف درهم . قالت : وجّه معي رسولاً وادفع اليهِ الف دينار وامرهُ ان يدفعها اليّ عند ما أُريهِ وجه ابراهيم فوجّه المأمون حسين الخادم ودفع اليهِ الدنانير وامرهُ بما قالت . فجاءت مع حسين الخادم حتى دخلت مسجداً فيهِ صندوق فاتت بجمّال فحملهُ فجعلت تطوف بهِ في الاسواق والشطوط فمرّةً يسمع صوت الباعة ومرّة صوت الملّاحين . فلمّا اظلم الليل ادخلتهُ داراً وفتحت عنهُ فاذا بمجلس عظيم في صدرهِ ابراهيم بن المهدي يشرب وبين يديهِ جوارٍ يغنّين . فانكبّ حسين على رجل ابراهيم يقبّلها فسألهُ ابراهيم عن المأمون وتناولت منهُ المرأة الدنانير . قال لهُ ابراهيم : كُلْ عندي لقمةً واشرب عندي قدحاً وتحمل عني رسالةً وامضِ محفوظاً . قال : أفعل . فقدّم اليهِ طعاماً فأكل ثم سُقي شراباً فيهِ بنج فشربهُ فسكرَ وأُدخل الصندوق وأُقفل عليهِ وحُمل حتى أُتي باب العامّة . فلمّا اصبح الناس رأوا الصندوق ليس معهُ احد فأنهوا خبرهُ الى صاحب الحرس فكتب الخبر الى المأمون فأُحضر وفتح فاذا حسين الخادم ميت فعولج حتّى افاق . فقال لهُ المأمون : رأيت ابراهيم قال : اي والله . قال : اين هو . قال : لا ادري . وحدّثهُ بالقصّة فقال المأمون : خُدِعنا والله وذهب المال . قال ابراهيم : فتفرّجتُ بالالف دينار مُديدةً